-٤-

التعريف بصلاح الدين الأيوبي

و مصادر تاريخه .

obeikandl.com

التعريف بصلاح الدين الأيوبي

و مصادر تاريخه .

نتناول في هذه الصفحات التالية بالعرض الموجز تعريفاً بصلاح الدين الأيوبي ، ومصادر تاريخه .

ولد صلاح الدين الأيوبي الكردي الأصل في تكريت بوسط العراق عام ١١٣٨م ، و أسرته في الأصل من دوين في منطقة القوقاز ، وقد عملت أسرته في العراق ووالده هو نجم الدين أيوب ، وعمه هو أسد الدين شيركوه ، وقد حكم تكريت من جانب السلطان محمد بن ملكشاه ، وفي عام ١١٣٨م ، كان عليهما مغادرة تكريت ووجدا فرصة للعمل في بلاط عماد الدين زنكي أتابك الموصل ، و في عام ١١٥٤م عمل الأثنان تحت قيادة نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي في دمشق .

عمل صلاح الدين في أعوام شبابه لدي نور الدين محمود في دمشق وخاصة في مجال الأمن و أعطاه ذلك خبرة كبيرة في مواجهة الخارجين عن القانون و عمق لديه الحس الأمني علي نحو كان له انعكاسه الإيجابي علي مسيرة تاريخه .

خلال الأعوام من ١١٦٤ إلي ١١٦٩م وقع اختيار نور الدين محمود علي صلاح الدين و أسد الدين شيركوه ؛ من أجل مواجهة الأطماع الصليبية في مصر الفاطمية ، وتمكن في النهاية من إخضاعها لسيطرتهم .

توفي أسد الدين شيركوه في ٢٦ مارس ١١٦٩م ، ومن بعد ه تولي الوزارة صلاح الدين الوزارة بإلحاح من الخليفة الفاطمي العاضد (١١٦٠ – ١١٧١م) ، وفي ١ سبتمبر ١١٧١ م تمكن صلاح الدين من إسقاط الخلافة الفاطمية ، وعادت مصر إلي المعسكر السني في تطور يعد من أخطر الأحداث ، وأهمها منذ مقدم الغزاة الصليبيين إلي بلاد الشام منذ أخريات القرن الحادي عشر م .

سعي صلاح الدين الأيوبي إلي توحيد بلاد الشام مع مصر خاصة بعد وفاة نور الدين محمود عام ١١٧٤م ، ودخل في صراع مع بقايا الزنكيين إلي أن صار سيداً علي بلاد الشام و مصر .

تمكن ذلك القائد البارز من إعداد جيش وصف بأنه اكبر جيش تمكن المسلمون من تكوينه ، و التقي بالصليبيين في معركة حطين و ألحق بهم هزيمة نكراء ، وتمت إبادة جيشهم ، و من بعد ذلك تم فتح الساحل الشامي و إسقاط القلاع الصليبية ، ثم حررت بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م بعد أن ظلت في الأسر الصليبي خلال الأعوام الواقعة بين عامي ١٠٩٩- ١١٨٧م .

واجه المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م) بقيادة ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted (١١٨٩-١١٩٩م) ملك إنجلترا ، وفيليب أغسطس Philip Augustus (١١٨٠- ١٢٢٣م) ملك فرنسا ، وفردريك باربروسا Frederick Barbarossa (١١٥٢- ١١٩٠م) الإمبراطور الألماني .

و بعد أحداث صاخبة ، وصراع مرير توفي صلاح الدين الأيوبي في ٤ مارس ١١٩٣م .

أما إذا ما حاولنا علي نحو موجز – إبراز أهم الصفات التي أتصف بها صلاح الدين الأيوبي وكانت عاملاً محورياً نحو تحقيق أهداف السلمية في عهده فتحمل علي النحو التالي:

- وضوح الهدف الخاص بتوجيه المسلمين من أجل تحرير بيت المقدس التي عدت الهدف الأعلى للرد لحركة الجهاد الإسلامي في ذلك العصر .

- التواضع الشديد ، إذ كان يحارب وسط جنوده ، ويشعرهم أنه واحد منهم ، ولذلك لم يتعال عليهم ، وشاركهم الانتصارات و الهزائم .

- التعلم من الهزائم ، وعدم افتقاد الأمل ، فيلاحظ انه هزم في معركة تل الجزر١١٧٧م ، وكذلك أرسوف عام ١١٩١م ، ومع ذلك تعلم من أخطائه ، وطور أداء جيشه ، ولم ييأس البتة في أن النصر سيكون حليفاً للمسلمين مهما طال الصراع مع الصليبيين .

- الخبرة الأمنية و امتلاكه لشبكة ممتازة من الجواسيس تقدم له المعلومات عن تحركات الصليبيين بمنتهى الدقة و بالتالي يمكن وصفه بأنه امتلك سلاح المعلومات ، وهو العامل الحيوي في تحقيق الانتصار علي الصليبيين الذين كانوا مكشوفين له معلوماتياً .

- الزهد في متاع الدنيا ، فقد رفض الحياة في قصور الفاطميين و أرتضى الحياة في خيمة في الصحراء ، تطيح بها الرياح العاصفة ، وقد مات و لم يكن يملك كفنه ، ووجدوا في خزائنه ديناراً و ٣٧ درهماً ، بل كان ينظر إلي المال كالتراب كما أوضح ذلك مؤرخ سيرته القاضي بهاء الدين بن شداد .

- أمتلك الشخصية الكاريزمية Charisma المؤثرة في الآخرين علي نحو جعل الصليبيين أنفسهم يقعون في دائرة الإعجاب به ، بل كانوا يتركون معسكراتهم ، ويعتنقون الإسلام علي يديه بل اضطر المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري William of Tyre إلي امتداحه تلك هنا أبرز الصفات التي امتلكها صلاح الدين الأيوبي .

أما مصادر تاريخ صلاح الدين الأيوبي فهي متعددة للغاية و لذلك نورد بعضاً منها كمجرد نموذج في صورة الآتي :

- بهاء الدين بن شداد (ت ١٢٢٤م) و كتابه النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ، وهو مؤرخ سيرته ، ويعد كتابه المذكور أهم مصدر عربي عن ذلك السلطان ، وقد أتصل بذلك القائد خلال الست سنوات الأخيرة من حياته ، و من الممكن القول أن خفقات قلب صلاح الدين يمكن أن نجد لها صدى في كتاب النوادر السلطانية الذي يعد أمتع سيرة عن قائد من عصر الحروب الصليبية .

واقع الأمر ، ودون مغالاة في القول لا يمكن كتابة تاريخ صلاح الدين الأيوبي دون الاستعانة بكتاب النوادر السلطانية .

- العماد الكاتب الأصفهاني (ت ١٢٠١م) و كتاب الفتح القسي في فتح القدسي ، وهو مصدر أساسي عن تاريخ صلاح الدين من فتح بيت المقدس التي وقائعه أي من ١١٨٧ إلي ١١٩٣م ، ومع ذلك يؤخذ علي الأصفهاني في أسلوبه الذي يفيض بالسجع ، والمحسنات البديعية علي نحو جعل الاستفادة من مادته التاريخية أمراً شاقاً دون الاستعانة بالمعاجم اللغوية مثل ما ألفه ابن سيده البطليوسي (ت ١٠٦٥م) ، وكتابه المخصص في اللغة ، وابن منظور المصري (ت ١٣١١م) ، و كتابه لسان العرب المحيط .

كذلك لا نغفل كتاب العماد بعنوان : خريدة القصر وجريدة العصر ، وهو كتاب مفصل لشعراء ذلك العصر ، ولا ننسي أن هناك الطبيات و القدسيات ، وهي القصائد

التي ألقيت في أعقاب معركة حطين ، وكذلك فتح بيت المقدس ،ويعد الشعر مصدراً أساسياً من مصادر تاريخ صلاح الدين الأيوبي .

- ابن الأثير الجزري (ت ١٢٣٢م) و كتابيه الكامل في التاريخ ، والتاريخ الباهر، وهو مؤرخ بارز يظهر فيه كمؤرخ من خلال كتابه الموسوعي الفريد أسد الغابة في معرفة الصحابة ، وأما عصر صلاح الدين ، فإن ابن الأثير يظهر كمؤرخ متعصب للزنكيين ، ويهاجم صلاح الدين بصورة تجعله حزبياً ، وأبعد ما يكون عن الموضوعية ، وكان الأجدر به أن ينأي بنفسه عن الهجوم المستعر علي ذلك السلطان المجاهد.

لقد أربك الأخير مؤرخ الموصل البارز فعندما توفى صلاح الدين في ٤ مارس ١١٩٣م كتب عنه سطوراً يمتدحه و كأنها بمثابة الاعتذار الضمني ، وأن لم بلغ ما أورده من ادعاءات مغرضة ضد السلطان في ثنايا الكامل و الباهر !!.

- ابن خلكان (ت ١٢٨٢م) ، وكتابه وفيات الأعيان و أنباء الزمان ، حيث أورد ترجمة مفصلة عن صلاح الدين الأيوبي علي نحو يجعلها ، وكأنها كتاب مستقل ، ومن أسباب هذه الغزارة التأليفية عنه ، أنه تتلمذ علي يد بهاء الدين بن شداد السالف الذكر ، ولذلك من المفترض أن احاديث عديدة جرت بينهما عن القائد المسلم البارز أما إذا تركنا المصادر العربية ، فنجد المصادر الصليبية مثل المؤرخ وليم الصوري الذي تناولناه من قبل عند الحديث عن نور الدين محمود - وقد قدم مادة مفصلة عن صلاح الدين الأيوبي منذ حملات الجيش النوري علي مصر حتى عام ١١٨٦م ؛أي قبل معركة حطين بعام واحد ، وقد توفي وليم الصوري في العام المذكور .

تجدر الإشارة إلي انه امتدح ذلك القائد المسلم عندما وصفه بأنه فارس شجاع في الحرب ،حذر، حكيم ، كريم إلي درجة السخاء .

امبرواز Aambroise في كتابه صليبية رتشارد قلب الأسد

The Crusade of Richard Hearted Lion

و الكتاب عبارة عن منظومة شعرية بالفرنسية ، ويعد مصدراً أساسياً عن أحداث الحملة الصليبية الثالثة ، ودور ريتشارد قلب الأسد خلالها ومعاركه التي خاض غمارها ضد صلاح الدين الأيوبي .

جودفري اوف فينزوف في كتابه حملة ريتشارد قلب الأسد الصليبية

Geoffrey of vinsanf Crusade of Richard Coeur de Lion

ويعد هو الآخر من المصادر الأساسية عن أحداث الحملة الصليبية الثالثة ، ومن الممكن الإفادة منه في المجال المذكور لدعم ما ورد لدي امبرواز .

ذلك عرض لأهم لمصادر التاريخية الخاصة بصلاح الدين الأيوبي أما المراجع العربية ، والمعربة فهي أكثر من أن تحصى ، وعلي القارئ العودة إلي القائمة الخاصة بذلك في نهاية الكتاب كي يتعرف علي فبض المؤلفات عنه أو يتجه إلي كتابي بعنوان : صلاح الدين الأيوبي و عصره – مدخل ببليوغرافي أولي حيث يجد – بفضل الله تعالي -نحو عدة آلاف من عناوين الكتب و المقالات و البحوث .

obeikandl.com